**المحاضرة السابعة: الوجودية**

**أدى طغيان الاتجاه المادي التجريبي الآلي إلى ظهور نزعات مضادة حاولت التخفيف من تلك التجريبية والآلية المفرطة والتأكيد على الجوانب الروحانية والمعنوية للإنسان، والإلحاح على الجوانب الإنسانية التي لا يمكن إخضاعها للتحليل الرياضي الصوري الصارم، ولا للتجريب العلمي الآلي. إذ الإنسان ليس آلة ولا جمادا. فكان شعار هذه النزعات هو (العودة إلى الإنسان).**

**وقد تأثّرت هذه النزعات بآراء فرويد حول الإنسان ونظريته في اللاشعور وما يمثّله من سعة وعمق يستعصيان على التبسيط والاختزال وما يقود إليه ذلك من لا نهائية التجربة الإنسانية,,,**

**كانت فيزياء نيوتن قد بشرت بالعلم المطلق والحقيقة المطلقة، وسارت في هذا الاتجاه الفلسفة المثالية بزعامة كانط وهيجل من بعده، وكانت هذه الفلسفة المثالية تحتفي بالحقيقة الكلية التي يمثلها العقل النظري، أما الوجود الفردي للإنسان والجزئيات المكونة لهذه الحقيقة فلم يكد يلتفت إليها المثاليون باعتبار أنها متغيرة غير ثابتة.**

**وكان الفيلسوف الدانماركي سيرين كيرجورد أبرز من ثار على مثالية هيجل المطلقة وألح على التجربة الإنسانية الفردية الحية. كما أن ما عاشته أوربا من ويلات الحربين العظميين دفع الفلاسفة إلى مزيد من التأمل في مسألة حياة الإنسان ومصيره وحريته وعلاقته بالآخرين ومسؤوليته تجاه نفسه وتجاه غيره.**

**وعلى الرغم من أن فلسفة كيرجورد الثائرة على مثالية هيجل ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فإنها لم تلق رواجا إلا في القرن العشرين، وقد تشعبت إلى فرعين رئيسين:**

**وجودية ألمانية يمثلها مارتن هايدغر (ولد 1889)، وكارل ياسبرز ( ولد 1883)،**

**ووجودية فرنسية يمثلها جان بول سارتر (ولد سنة 1905)، وجابرييل مارسيل (ولد 1889)، وموريس مارلوبونتي (ولد 1908).**

**ولكن الفرنسي جان بول سارتر يعدّ أشهر الفلاسفة الذين ارتبط اسمهم بالوجودية بالنظر إلى اهتمامه – إضافة إلى الفلسفة الخاصة – بالأدب والفن والمسرح والسياسة.**

**أعرض الوجوديون عن المنهج التجريبي والمنهج التحليلي الرياضي، ورأوا أن أنسب منهج لدراسة الإنسان هو المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي) الذي وضع أسسه "هوسرل"، وإذا كان هوسرل وضع أسس هذا المنهج فإن هايدجر وسارتر من بعده انتقلا من التنظير إلى التطبيق.**

**جان بول سارتر: ولد سنة 1905 بفرنسا، التحق بجامعة السربون وتخصص في الفلسفة، وبعد تخرجه اشتغل بتدريس الفلسفة للمراحل الثانوية، ثم اتجه صوب التعمق في الفلسفة الألمانية المعاصرة وتأثر بآراء هوسرل وهايدغر، حاول تطبيق المنهج الظاهراتي على بعض الظواهر وتوج ذلك بكتاب "الوجود والعدم" الذي ضمّنه مذهبه الوجودي.**

**ثار على النظام الرأسمالي وانحاز إلى الطبقات العاملة والنظام الاشتراكي، وأثناء الحرب العالمية الثانية حمل السلاح ضد الألمان فأسر ثم أفرج عنه بعد سيطرة الألمان على فرنسا، فسخّر قلمه لمناهضة الألمان والدعوة إلى التحرّر من النازية من خلال حركة سرّية أنشأها رفقة بعض الأدباء والمثقفين الفرنسيين، وقد لجأ في هذه الفترة إلى المسرح للتعبير عن آرائه الفلسفية والدعوة إلى التحرر من نير النازية، وبعد أن تخررت باريس عام 1944 تفرغ سارتر للكتابة، وأصدر مع زملائه مجلة العصور الحديثة كانت منبرا لمناهضة الاستعمار والرأسمالية والدكتاتورية والدعوة إلى الحرية والتحرّر، ومساندة حقوق الشعوب المستضعفة.**

**الوجودية: يذهب سارتر إلى أن ماهية الأشياء مرتبطة بوجودها، وهي (الماهية) في الأشياء الجامدة والمصنوعة أسبق من وجود هذه الأشياء، ولكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي سبق وجوده ماهيته، وهو بذلك يخالف الفلاسفة المثاليين السابقين كديكارت وغيره ممن يرون أن صفات الإنسان وماهيته كانت محددة من قبل خلقه. ولكن هذا برأي سارتر ينافي حرية الإنسان ويقود إلى نوع نت الجبرية المنافية لحرية الاختيار. وإنما شرع الإنسان في بناء ذاته وصنع مصيره بكامل حريته بعد وجوده لا قبله، وهذا ما يميزه عن باقي المخلوقات.**

**الإنسان حرّ في حياته وفي اختيار صفاته كما يرى سارتر، ولكن هذا الاختيار يلقي على الإنسان مسؤولية جسيمة؛ لأن اختياره لا يخص ذاته فحسب، بل يمس الأنسانية جميعا. ولذلك كان من الطبيعي أن يجد الإنسان قدرا من القلق يرافق هذا الاختيار، فهذا القلق منشؤه الإحساس بمسؤولية الاختيار، وما يترتب عليه بالنسبة إلى الإنسان وإلى غيره من أفراد الجنس البشري، وهناك صراع مستمر بين الوجود للذات والوجود للغير.**

**وعلى الرغم من انتقاد سارتر للمنهج الجدلي الماركسي في دراسة الظواهر الإنسانية، واتهمه بالإيغال في المادية والشكلية والقصور عن فهم الحقيقة الإنسانية، لأنه سوّى بين الإنسان الحي والمادة الجامدة، ولكنه ومنذ 1960 حاول تطويع المنهج الماركسي لمذهبه الوجودي فذهب إلى أن التاريخ لا تصنعه القوانين الحتمية الخارجة عن إرادة الإنسان واختياره، وإنما يصنعه الإنسان انطلاقا من شعوره الذاتي الداخلي وعلاقته بالآخرين .**